شـــاعرة مصرية

مهداة إلى « الأستاذ عباس » بمناسبة قوله فى « عدد الرسالة ٧٨٤ » : هل عندنا شاعرات ؟

شمس الدين السخاوى المؤرخ النقاد للقرن التاسع الهجرى أفرد جزءاً خاصاً من تاريخه (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (*)) لتراجم النساء فى الشرق ، ومنه أنقل بإيجاز ترجمة الشاعرة المصرية فاطمة ابنة القاضى كمال الدين محمود بن شيرين : ولدت بالقاهرة سنة ٨٥٥ ، ونشأت فتعلمت الكتابة وما تيسر ، وتزوجت الناصرى محمد بن الطنبغا ، واستولدها ابنتها فاطمة وغيرها ، ثم مات عنها ، فتزوجها العلاء على بن محمد بيبرس حفيد ابن أخت الظاهر برقوق ، فاستولدها بيبرس ، ولاحظ لها فى ذلك مع براعتها فى النظم وحسن فهمها وقوة جنانها حتى كانت فريدة فيما اشتملت عليه . وقد حجت سنة ٨٨٤ سنة حج الملك ، ثم سنة ٨٨٦ ، ثم سنة ٨٩٤ وجاورت فى هذه بجوارنا ، ثم فى سنة ٨٩٨ مع ابنها وجاورا فى التى تليها .

ومما كتبت به إلى من نظمها بعد مجىء الخبر بموت أخوى :

قفا واسمعا منى حديث أحبتى ... فأوصاف معناهم عن الحسن جلت
تجمعت الخيرات فيهم وقد حبوا ... من الله مولاهم بأعظم منة
وأما التى أدعو لها الله دائماً ... فآمنة فيكم لآخر مدة
وإن كرهت من حادث الدهر فرقة ... فجنة عدن بالمكاره حفت
أثابكم ربى وأعظم أجركم ... على فقد أحباب وأحسن جيرة
كرام سموا علماً وحلماً وسوددا ... وكنتم بهم فى غبطة ومسرة
قطعتم لذيذ العيش وصلا بقربكم ... فوا أسفا عند الفراق وحسرة
نعم هكذا أيدى المنية لم تزل ... تفرق إخواناً على حين غفلة
فكرر لذكراهم على السمع رعدها ... به سيدى عن رؤية العين أغنت
فهم فى سويداء الفؤاد وإن نأوا ... ومنزلهم منى مكان سريرتى
لهم برسول الله إذ ذاك أسوة ... أثابهم الله الجزاء بجنة
وإن أفلت تلك البدور التى زهت ... فها شمس دين الله خير ذخيرة
هو العالم الحبر الإمام الذى له ... بفضل علوم شهرة أى شهرة
وليس له فى حضرة غير منحة ... وليس له فى خلوة غير جلوة
فأنتم خيار الناس حقاً بلا امترا ... فديتكم من كل سوء بمهجتى
حماكم إله العرش من كل حادث ... ألمّ بالآداب كل الخليقة
بحق نبى جاء للخلق رحمة ... محمد المبعوث من أرض مكة
عليه صلاة الله ما هبت الصبا ... وتحمل أشواقى إلى نحو طيبة

وكتبت إلى بغير ذلك ، ومنه وقد بلغها عن بعضهم كلام :

يا سيداً ما له مثيل ... من فى الهمات أرتجيه
ماذا ترى فى امرئ خبيث ... يحسد ذا سودد عليه
فاسمع كلام امرئ لبيب ... لجاهل رام يزدريه
ما ضر بحر الفرات يوماً ... لو خاض بعض الكلاب فيه

ومنه حين طالعت كتابى « ارتياح الأكباد » لتسلى عن بنت أتممتها ، سائلة عن شئ من الأبيات التى أوردتها فيه فقالت :

يا إماماً قد حاز علماً وفهماً ... وله فى الورى محاسن جلت
ما رأى الشاعر اللبيب بقول ... جرح القلب والدموع استهلت
فاصطبر وانتظر بلوغ مداها ... فالرزايا إذا توالت تولت
لم أطق سيدى بلوغ مداها ... ضعفت قدرتى لذاك وكلت
أخبرونى عن نطقه ببيان ... نلت أجراً ورتبة قد تعلت

ثم كتبت إلى سائلة أيضاً :

يا أيها الحبر وبحر الندى ... يا حافظاً نقل حديث قديم
يا منحة فى دهره لم يزل ... ممتدحاً من كل « فاء وميم »
يا غاية الآمال يا منيتى ... يا من به أضحى غرامى غريم
يا شمس دين الله يا من غدا ... بكل علم فى البرايا عليم
ويا سخاوى يا إمام الورى ... من خصه الله بعلم جسيم
أسألك يا شيخ شيوخ النحى ... ومن توى فى فيه در نظيم
فيمن أتاها عانق عاقها ... عن أمل صارت به فى حميم
قيامها إذ ذاك يا سيدى ... بين مقام زمزم والحطيم
فى ليلة أخبرنا أنها ... يفرق فيها كل أمر حكيم
يا من فتاواه إذا أبرزت ... يكاد ذو فهم بها أن يهيم
يهنك شعبان الذى قدره ... ما زال عند الله قدر عظيم
يجاء من أسرى به فى الدجى ... وهو للمولى كليم نديم
صلى عليه الله طول المدى ... ما ناح قمرى بصوت رخيم

(*) طبع فى القاهرة عام ١٣٥٦